مناقب

السيد عبد اللّٰه المحجوب الميرغني
بن السيد محمد سر الختم
بن السيد محمد عثمان الميرغني الختم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِهِ الإِعَانَةُ بَدْءًا وَخَتْمًا

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ذَاتًا وَوَصْفًا وَاسْمًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْقَائِمِ بِحَمْدِهِ لِنَفْسِهِ بِذَاتِهِ لِذَاتِهِ، بِأَلْسُنِ أَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، الَّذِي اطَّلَعَ فِي أُفُقِ سَمَاءِ الْوُجُودِ شَمْسَ الذَّاتِ الْمُحَمَّدِيَّة ۞ وَأَمَدَّ بِنُورِهِ الْكَائِنَاتِ وُجُودًا وَشُهُودًا بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ بِقُدْرَتِهِ وَالشَّان ۞ وَاخْتَصَّهُ وَاصْطَفَاهُ بِسِرِّ الْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّة ۞ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ لِظُهُورِ وَاسِطَةِ الْإِيجَادِ وَالْإِمْدَادِ مِنْ حَضْرَةِ الْمَنَّان ۞ وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمُنَزَّهُ عَمَّا يَخْطُرُ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَوْهَامِ فِي غَيْبِ الْعَظَمَةِ الْأَحَدِيَّة ۞ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَان ۞ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَبْضَةُ النُّورِ الْأَزَلِيَّة ۞ الظَّاهِرُ بِخِلَعِ مَظَاهِرِهِ الْكَوْنِيَّة ۞ وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ بِحَارِ الْجُودِ بِمَوَاهِبِ خَصَائِصِ الْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّة ۞ وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا بِسِرِّ النِّيَابَةِ وَالْوَارِثَةِ، اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ حَقَائِقِ الْأَسْرَارِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي لَا يُعَبِّرُ عَنْهَا إِلَّا فَصِيحُ اللِّسَان ۞ الْمُتَرْجِمُ بِهِ عَنْهُ وَالْمُفِيضُ لِأَنْوَارِ الْهِدَايَةِ وَأَسْرَارِ الرِّعَايَةِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ لَهُ وَمِنْهُ،

الْمُتَحقِّق بِحَقِيقَةِ كَامِلِ الْإِنْسَان ۞ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ نُجُومِ الِاهْتِدَاءِ وَمَصَابِيحِ الِاقْتِدَاءِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ بِنَصِّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّة ۞ صَلَاةً دَائِمَةً مُسْتَمِرَّةً بِعَدَدِ مَا يَكُونُ وَمَا قَدْ كَانَ ۞

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ فِي ذِكْرِ مَنَاقِبِ الْأُسْتَاذِ الْأَعْظَمِ وَالْمَلَاذِ الْأَفْخَمِ سَيِّدِي السَّيِّد عَبْد اللَّهِ الْمِيرْغَنِيّ الْمَحْجُوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَرْتَاحُ إِلَيْهَا نُفُوسُ الْمُحِبِّينَ، وَتَحِنُّ إِلَيْهَا أَفْئِدَةُ الْمُرِيدِينَ لِمَوَاهِبِهِ الْقُدْسِيَّة ۞ تُنْبِيءُ عَنْ ذِكْرِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَمَوْلِدِهِ وَتَرْبِيَتِهِ بِالدِّيَارِ الْحَرَمِيَّة ۞ وَمَحَاسِنِ أَوْصَافِ ذَاتِهِ الْكَامِلَةِ، وَذِكْرِ يَسِيرٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ الطَّاهِرَةِ، وَكَرَامَاتِهِ الَّتِي لَا تَحْصُرهَا الْأَقْلَامُ وَلَا تُحِيطُ بِهَا الْأَفْهَامُ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَوْلَاه وَتَوَلَّاهُ فِي سَائِرِ الْأَزْمَان ۞ وَرَتَّبْتُهَا عَلَى سِتَّةِ أَبْوَابٍ وَخَاتِمَةٍ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ وَالْعَوْنِ وَالْمَدَدِ مِنْ عَوَاطِفِ مَكَارِمِهِمْ وَأَنْفَاسِهِمْ الطَّاهِرَة الذَّكِيَّة ۞ مُعْتَرِفًا بِالْعَجْزِ وَقِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ، مُعْتَمِدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَدَدِهِمْ الْوَاسِعِ الْعَمِيمِ الْمُحِيطِ لِجَمِيعِ الْأَكْوَانِ ۞

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي ذِكْرِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَقَدْرِهِ الْمُنِيفِ

فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْقُطْبُ الْكَامِلُ، عَمِيمُ الْبَرَكَاتِ سَيِّدِي السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ الْمِيرْغَنِيّ الْمَحْجُوب صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ الْعَلِيَّةِ ۞ ابْنُ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَحَقِّق بِعِلْمَيِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ سَيِّدِي الْمُلَقَّب بِسِرِّ الْخَتْمِ ابْنُ خَتْمِ أَهْلِ اللَّهِ الْمُلَقَّب بِذَلِكَ مِنْ حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ الْأُسْتَاذ الْأَعْظَم سَيِّدِي السَّيِّد مُحَمَّد عُثْمَان ۞ ابْنُ السَّيِّد مُحَمَّد أَبِي بَكْرٍ ابْنُ السَّيِّد عَبْد اللَّهِ الْمِيرْغَنِيّ الْمَحْجُوب عَنْ شُهُودِ الْغَيْرِيَّةِ ۞ ابْنُ السَّيِّد إِبْرَاهِيم ابْنُ السَّيِّد حَسَن ابْنُ السَّيِّد مُحَمَّد أَمِين ابْنُ السَّيِّد عَلِيّ مِيرْغَنِيّ وَمِنْهُ لَقَبُهُمْ بِأَمِيرٍ غَنِيّ لُغَة فَارِسِيَّة ۞ كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ بِصَحِيحِ الرِّوَايَةِ وَالتِّبْيَان ۞ ابْنُ السَّيِّد حَسَن ابْنُ مِيرْخُورْد ابْنُ حَيْدَر ابْنُ حَسَن ابْنُ عَبْد اللَّهِ الَّذِي مُنِحَ مَقَامَات الْعُبُودِيَّة ۞ ابْنُ عَلِيّ بْن حَسَن بْن حَيْدَر بْن مِيرْخُورْد بْن حَسَن بْن أَحْمَد بْن عَلِيّ الَّذِي عَلَا قَدْرُهُ عَلَى الْأَنْدَادِ وَالْخِلَّان ۞ ابْن إِبْرَاهِيم بْن يَحْيَى بْن حَسَن بْن أَبِي بَكْرٍ بْن عَلِيّ بْن مُحَمَّد بْن إِسْمَاعِيل بْن مِيرْخُورْد الْبُخَارِيّ بْن عُمَر بْن عُثْمَان ابْن الْإِمَامِ عَلِيّ التَّقِيّ لُقِّبَ بِذَلِكَ لِتَقْوَاهُ مَوْهِبَة رَبَّانِيَّة ۞ ابْن الْإِمَامِ حَسَن الْخَالِص ابْن الْإِمَامِ

عَلِيّ الْهَادِي ابْن الْإِمَامِ مُحَمَّد الْجَوَاد ابْن الْإِمَامِ عَلِيّ الرِّضَا الَّذِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بِبُلُوغِ الْمُنَى وَالْإِيمَان ۞ ابْن الْإِمَامِ مُوسَى الْكَاظِم ابْن الْإِمَامِ جَعْفَر الصَّادِق ابْن الْإِمَامِ مُحَمَّد الْبَاقِر ابْن الْإِمَامِ عَلِيّ زَيْن الْعَابِدِين كَمَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّة ۞ ابْن الْإِمَامِ الْحُسَيْن ابْن الْإِمَامِ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِكَامِلِ الرِّضْوَان ۞ وَهُوَ أَيْضًا ابْن فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء الْبَتُول سَيِّدَة نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَبِضْعَة خَيْرِ الْبَرِيَّة ۞ سَيِّدنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ وَأَوَان ۞ وَفِيهِ قُلْتُ شِعْرًا:

نَسَبٌ عَظِيمٌ يَا لَهُ فَخْرٌ عَلَى ... كُلِّ الْوُجُودِ وَمِنْهُ كَانَ كَيَانُهُ
دُرٌّ تَنَضَّدَ عِقْدُ جَوْهَرِهَا النَّفِيسِ ... لَآلِئًا نَارَتْ بِهَا أَزْمَانُهُ
شَرَقَتْ بِهِ شَمْسُ التَّجَلِّي مِنَ الْعَمَا ... لِمَرَاتِبٍ عَظُمَتْ تَعَاظُم شَأْنُهُ
كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُون وَالسَّبْعَ الْعُلَا ... وَالْكُرْسِيّ وَالْعَرْش الْعَظِيم وَآنَهُ
تَهْتَزُّ مِن طَرَبٍ بِقُرْبِ ظُهُورِ مَنْ ... لَوْلَاهُ مَا خَلَقَ الإِلَهُ زَمَانَهُ
سِرُّ التَّنَزُّلِ فِي الْمَظَاهِرِ مَظْهَرٌ ... نَسَبُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَبَيَانُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا بَرَزَتْ بِهِ الْأَكْـ ... وَانُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْ سُبْحَانَهُ

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَر سِرّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر

الْبَـابُ الثَّـانِي

فِي ذِكْرِ مَوْلِدِهِ وَمَنْشَئِهِ وَتَرْبِيَتِهِ

وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، سَنَةَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَسِتِّين، عَلَى خِلَافٍ فِي الْأَقْوَالِ الْمَرْوِيَّة ۞ فَأَشْرَقَتِ الْكَائِنَاتُ لِبُرُوزِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ زَوَاخِرِ بُحُورِ فُيُوضِ جُودِهِ يَنَابِيعَ الْإِحْسَان ۞ فَنَشَأَ بِبَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَتَرَبَّى فِي حِجْرِ جَحَاجِحِ سُرَاةِ السَّادَةِ الْمِيرْغَنِيَّة ۞ فَقَرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِهَا وَتَفَقَّهَ فِي عُلُومِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ عَلَى صِنْوِهِ الْأُسْتَاذِ سَيِّدِي السَّيِّدِ مُحَمَّد سِرِّ الْخَتْمِ، كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ بِإِثْبَاتٍ وَإِتْقَان ۞ فَمَكَثَ بِمَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ أَكْثَر، تُلَاحِظُهُ عُيُونُ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّة ۞ إِلَى أَنْ هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسَمَاتُ الْمَوَاهِبِ الْقُدْسِيَّة ۞ فَطَلَبَهُ عَمُّهُ صِنْو أَبِيهِ، إِكْسِيرُ الْوُجُودِ وَمَعْدِنُ الْكَرَمِ وَالْجُودِ مُرَبِّي السَّالِكِينَ، وَقَائِدُ وُفُودِ جُنُودِ أَهْلِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، الْأُسْتَاذُ الْأَكْبَرُ سَيِّدُنَا السَّيِّد مُحَمَّد الْحَسَن الْمِيرْغَنِيّ سَمِير مُشَاهَدَاتِ الْإِحْسَان ۞ فَحَضَرَ إِلَيْهِ سَنَةَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَرْبَع وَثَمَانِينَ، وَمَطَايَا الْعِنَايَةِ تُسْرِعُ بِهِ لِتُقَرِّبَهُ وَتَجْمَعَهُ مَعَ رَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْبَرِيَّة ۞ فَأَعْطَاهُ الطَّرِيقَةَ وَأَرْشَدَهُ إِلَى مَعَالِمِ التَّحْقِيقِ، وَخَلَعَ عَنْهُ ثِيَابَ الْإِرَادَةِ وَالْعَلَائِقِ

وَالتَّعْوِيقِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ لَا يَعْرِفُ سِوَاهُ، فَلَقَّنَهُ الْأُسْتَاذُ الْأَكْبَرُ الذِّكْرَ، وَأَجَازَهُ فِي الطَّرِيقَةِ الْخَتْمِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْأَنْوَارَ، فَسَطَعَتْ سَوَاطِعُ الْفُتُوحَاتِ، وَجَذَبَتْهُ إِلَى مُشَاهَدَاتِ الْإِحْسَانِ ۞ فَانْخَرَقَتْ لَهُ الْعَادَاتُ وَتَحَقَّقَ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الذَّاتِيَّة ۞ فَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ حَالُ الْوَجْدِ وَالْهُيَامِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ وَأَمَدَّنَا بِمَدَدِهِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ وَأَوَان ۞

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرَّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر

الْبَابُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَوْصَافِ الْخَلْقِيَّة

فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَدِيعُ الْجَمَالِ، سَمِحُ الْخِصَالِ، يَخْجَلُ بَدْرُ التِّمِّ إِذَا بَدَا نُورُ جَبِينِهِ الزَّاهِرِ فِي الْمَظَاهِرِ الإِشْرَاقِيَّة ۞ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، أَقْوَسُ الْحَاجِبَيْنِ، أَسِيلُ الْخَدَّيْنِ، وَاسِعُ الْفَمِ، إِذَا تَكَلَّمَ يَتَنَاثَرُ الدُّرُّ مِنْ فِيهِ، وَتَنْفَجِرُ الْحِكْمَةُ مِنْ جَوَانِبِهِ لِأَهْلِ الْمَحَبَّةِ وَالاِطْمِئْنَان ۞ فَخِيمٌ جَلِيلٌ، مُجَمَّلٌ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، عَظِيمُ الْهَامَةِ، مَرْبُوعُ الْقَامَةِ، أَقْرَبُ إِلَى الْقِصَرِ مِنْهُ إِلَى الطُّولِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، أَطْوَلُهَا، زَانَهَا الْمَشِيبُ، شَعْرُهَا كَسَبَائِكِ الْفِضَّةِ اللُّجَيْنِيَّة ۞ إِذَا مَشَى يَتَمَايَلُ كَتَمَايُلِ الْغُصُونِ، يَمْشِي الْهُوَيْنَا، مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا وَهِيَ غَالِبًا مِنَ الْخَيْزَرَان ۞ وَكَثِيرًا مَا أَشَارَ بِهَا إِلَى ذِي عَاهَةٍ فَبَرِىءَ، أَوْ ضَرَبَ بِهَا مَرِيضًا فَشُفِيَ بِالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّة ۞ قَدْ كَسَاهُ اللَّهُ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَالْهَيْبَةِ، مَا رَآهُ أَحَدٌ بَدِيهَةً إِلَّا هَابَهُ وَجَلَّهُ، تُذَكِّرُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَيُثَبِّتُ قَلْبَ الْخَائِفِ وَالْحَيْرَان ۞ مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ بَيْنَ النَّحَافَةِ وَالضَّخَامَةِ، وَاسِعُ الصَّدْرِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ الْكَرِيمَةِ، تُضْرَبُ بِجُودِهَا الْأَمْثَالُ، تَمْطُرُ الْمَوَاهِبَ وَالْعَطِيَّة ۞ أَزْهَرُ اللَّوْنِ، وَسِيمٌ، بَسِيمٌ، يَمْزَحُ مَعَ تَلَامِذَتِهِ، وَلَا يُقَابِلُ إِذَا غَضِبَ لِانْتِهَاكِ

حُرُمَاتِ الْمَلِكِ الدَّيَّان ۞ فَنَاهِيكَ بِهِ مِنْ قُطْبٍ كَامِلٍ وَشَيْخٍ مُرْشِدٍ لِلْمُرِيدِينَ لَهُ بِصِدْقِ النِّيَّة ۞ أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا تَرْبِيَةً وَإِرْشَادًا لِلسَّالِكِينَ طَرِيقَ الْحَقِّ بِإِخْلَاصٍ وَإِيمَان ۞

أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرَّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر

الْبَابُ الرَّابِعُ
فِي ذِكْرِ أَخْلَاقِهِ وَسِيرَتِهِ الزَّكِيَّة

فَقَدْ تَخَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الْقُدْسِيَّةِ، وَاتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الْمُحَمَّدِيَّة ۞ فَكَانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ رَؤُوفًا رَحِيمًا كَرِيمًا بَرًّا عَطُوفًا ذَا شَفَقَةٍ وَحَنَان ۞ كَهْفَ السَّالِكِينَ وَمَلْجَأَ الْفُقَرَاءِ، وَكَافِلَ الْأَيْتَامِ وَالضُّعَفَاءِ، آمِرًا بِالصَّدَقَةِ الْمَطْلُوبَة بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّة ۞ دَائِمَ التَّفَكُّرِ، صَبُورًا، لَا تُحَرِّكُهُ رِيَاحُ الْحَوَادِثِ، وَلَا يَكْتَرِثُ بِهَا قَدْ اسْتَوَتْ عِنْدَهُ حَالَةُ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، لِهَيْبَتِهِ عَمَّا سِوَى الْوَاحِدِ الْمَنَّان ۞ وَقَد تَحَلَّى بِالزُّهْدِ وَالتَّوَكُّلِ، لَمْ تَكُنْ الدُّنْيَا مِنْهُ عَلَى بَالٍ، أَكْبَر هَمِّهِ بِذِي الْجَلَالِ لَمْ يَقْتَنِ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا شَيْئًا، كَمَا شُوهِدَ ذَلِكَ مِنْهُ بِالْمُعَايَنَةِ الْعِيَانِيَّة ۞ مُلَازِمًا، دَائِمًا عَلَى الذِّكْرِ مَعَ اللّٰهِ بِاللّٰهِ، مُؤَدِّيًا لِرَوَاتِب

الطَّرِيقَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَمُحَافِظًا عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآن ۞ جَلِيلًا تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، رَفِيعَ الْهِمَّةِ، نَافِذَ الْعَزْمِ، يَكَادُ عَزْمُهُ يَئِنُّ لَهُ الْحَدِيد لِشِدَّةِ سَطْوَتِهِ الْقَهْرِيَّة ۞ يَحْمِلُ الْمُرِيدِينَ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي جَمِيعِ الْأَحْيَان ۞ يُرَبِّيهِمْ بِالنَّظَرَاتِ الْحَالِية وَمُبَاسَطَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّة ۞ فَوَاللَّهِ مَا أَمَّهُ مُرِيدٌ صَادِقٌ إِلَّا اهْتَدَى وَتَنَوَّرَ، وَلَا دَخَلَ حِمَاهُ خَائِفٌ إِلَّا أَمِنَ، وَلَا ذُو حَاجَةٍ إِلَّا قَضَاهَا اللَّهُ بِبَرَكَتِهِ، وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَالشَّان ۞

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرَّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ كَرَامَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فَهِيَ بَحْرٌ خَضِيمٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، فَلْنَتَبَرَّكْ بِذِكْرِ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنْهَا، لِأَنَّهَا كَثِيرَةٌ لِذَوِي الْأَعْدَادِ الْإِحْصَائِيَّةِ ۞ وَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى غَايَةِ الِاسْتِقَامَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَا وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَرَامَةٍ سَاطِعَةٍ وَاضِحَةِ الْبُرْهَانِ ۞ فَمِنْهَا: أَنَّهُ لَمَّا تَوَجَّهَ مِنْ شَنْدِي لِمُقَابَلَةِ صِنْوِهِ الْأُسْتَاذِ الْأَعْظَمِ سَيِّدِي السَّيِّدِ مُحَمَّد عُثْمَان الْأَقْرَب بِجِهَةِ بَرْبَرَ، نَزَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَحْمَد بْنِ الْأَمِين الْعُمَرَابِيِّ بِحِلَّةِ سَقَادِي، فَأَتَتْ إِلَيْهِ أُنَاسٌ مَشْهُورُونَ بِالْإِنْكَارِ، وَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ، مِنْ جُمْلَتِهَا سَأَلُوهُ عَنِ الْفَتْحِ فَقَالَ: الْفَتْحُ فَتْحَانِ، فَتْحٌ أَصْغَرُ، وَفَتْحٌ أَكْبَرُ، وَأَقَلُّ دَرَجَاتِ الْفَتْحِ الْأَصْغَرِ خِطَابُ الْجَمَادَاتِ، وَأَبْدَى مِنْ غَوَامِضِ عُلُومِهِ الْوَهْبِيَّةِ ۞ مَا أَبْهَرَ الْعُقُولَ وَأَبْهَتَ السَّامِعِينَ، ثُمَّ سُئِلَ عَنِ الْفَتْحِ الْأَكْبَرِ، فَتَكَلَّمَ فِيهِ كَلَامًا أَوْصَلَهُمْ إِلَى فَهْمِ مَعَانِيهِ، فَرَأَيْتُهُمْ يَتَسَاءَلُونَ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ فَهِمْتُ مَا قَالَهُ الْأُسْتَاذُ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَبِّرَ عَنْهُ بِفَصِيحِ اللِّسَانِ ۞ مِنْهَا: أَنَّهُ تَكَلَّمَ مَعَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَجْلِسٍ خَاصٍّ، فِي مَعْنَى الِاسْمِ الْمُفْرَدِ وَحَقَائِقِهِ وَخَوَاصِّهِ وَأَحْوَالِ ذَاكِرِيهِ، وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآيَاتِ

الْقُرْآنِيَّة ۞ وَأَمَرَنِي بِعَدَدٍ أَعْمَلُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَة، فَحَصَلَ لِي فُتُورٌ عَنْهُ، وَأَنَا حِينَئِذٍ بِمَنْزِلَةٍ بَعِيدَةٍ، وَالْوَقْت بَعْدَ نِيَامِ النَّاسِ، فَمَا أَشْعُرُ إِلَّا بِالْأُسْتَاذِ يَقُولُ لِي بِزَجْرٍ: اعْمَلْ الْعَدَد الْآنَ، ثُمَّ غَابَ عَنِّي فَقُمْتُ وَوَفَيْتُهُ بِاحْتِسَابٍ وَحُسْبَان ۞ وَمِنْهَا: أَنَّهُ أُوتِيَ إِلَيْهِ بِشَخْصٍ يُصْرَعُ دَائِمًا، وَوَقَعَ أَهْلُهُ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَنْ يُعَافِيهِ اللَّهُ بِبَرَكَتِهِ، فَهَزَّهُ وَضَرَبَهُ ضَرْبَةً قَوِيَّة ۞ فَتَعَافَى فِي الْحَالِ، وَلَمْ تَعُدْ إِلَيْه الصَّرْعَةُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ كَمَا شُوهِدَ مِنْهُ بِالْعِيَانِ، وَحُكِيَ بِوَاضِحِ الْعِبَارَةِ وَالْبَيَان ۞ وَمِنْهَا: أَنَّ أَحَدَ مُدِيرِي الْخَرْطُوم سَابِقًا عُزِلَ عَنْ مَنْصِبِهِ، فَأَتَاهُ وَشَكَى إِلَيْهِ حَالَهُ، وَوَقَعَ عَلَى أَعْتَابِهِ السَّنِيَّة ۞ فَبَشَّرَهُ وَقَالَ لَهُ: تَوَجَّه إِلَى مَنْزِلِكَ، فَإِنَّ الطَّلَبَ سَيَأْتِيك بِالتَّوْلِيَةِ الْآن ۞ فَتَوَجَّه إِلَى مَنْزِلِه، فَعِنْدَ وُصُولِهِ طَلَبَهُ الْحَاكِمُ فِي تِلْكَ السَّاعَة النَّهَارِيَّة ۞ وَوَلَّاهُ مَنْصِبَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ وَلَا انْتِظَارٍ مُدَّةً وَأَزْمَان ۞ وَأَمَّا إِغَاثَتُهُ وَإِدْرَاكَاتُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَالْكُرُوبِ أَشْهَر مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، وَإِنْبَاءَاتُه وَإِخْبَارُهُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ وَنَوَازِل الْبَلِيَّات الْغَيْبِيَّة ۞ فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَرُ، وَكَثِيرًا مَا يُخْبِرُ الْحَاضِرِينَ بِذَلِكَ فَيَكُونُ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَان ۞ وَاسْتِقْصَاءُ كَرَامَاتِهِ يَحْتَاجُ إِلَى أَسْفَارٍ وَمُجَلَّدَاتٍ، يُخْرِجُنَا عَنْ حَدِّ الاخْتِصَارِ، فِيمَا قَصَدْنَاهُ مِنَ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِ مَنَاقِبِهِ الْعَلِيَّة ۞ فَوَاللَّهِ مَا

رَأَيْنَاهُ تَوَجَّهَ بِهِمَّتِهِ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يُرِيدُ، وَكَثِيرًا مَا يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، فَتَنْخَرِقُ لَهُ الْعَوَائِدُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَنْقَلِبُ الْأَعْيَانُ ۞

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرَّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَرِ

الْبَابُ السَّادِسُ

فِي ذِكْرِ احْتِجَابِهِ وَانْتِقَالِهِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ وَالنَّعِيمِ

وَلَمَّا آنَ الْأَوَانُ وَانْقَضَتْ مُدَّةُ الِابْتِلَاءِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ۞ وَأَرَادَ اللَّهُ لِعَبْدِهِ وَحَبِيبِهِ كَمَالَ شُهُودِهِ وَتَقْرِيبِهِ اشْتَاقَتْ رُوحُهُ أَنْ تَطِيرَ مِنْ قَفَصِ الْأَشْبَاحِ إِلَى فَضَاءِ الْأَرْوَاحِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْبَرْزَخِيَّةِ ۞ فَقَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ حَمِيدًا سَعِيدًا، لِيُمَتِّعَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فِي جَنَّةِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ ۞ وَكَانَ نُزُولُ أَمْرِهِ لِانْقِضَاءِ الْأَجَلِ الْمَحْتُومِ بِلَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ الْمُوَافِقِ أَرْبَعَةَ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ صَفَرِ الْخَيْرِ سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ، جَعَلَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُقَرَّبِينَ وَتَجَلِّيَّاتِ الْعَظَمَةِ الذَّاتِيَّةِ ۞ وَبَارَكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ وَآلِ بَيْتِهِ، وَأَوْضَحَ بِهِمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ لِأُمَّةِ جَدِّهِ بِالْهُدَى وَالْإِيمَانِ ۞ فَجَهَّزَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْأُسْتَاذ

سَيِّدِي السَّيِّد عَلِيّ الْمِيرغَنِيّ بِأَحْسَنَ الْجِهَازِ، فَحُمِلَ نَعْشَهُ الشَّرِيفُ حَتَّى أَوْصَلُوهُ مَحَلّ ضَرِيحِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْأُسْتَاذُ الْمَذْكُورُ، وَخَلْقٌ لَا يُحْصُرُهُمْ إِلَّا مِلْكُ الْبَرِيَّة ۞ وَدُفِنَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ عَنْ يَمِينِ ضَرِيحِ السَّيِّدَة نَفِيسَةَ وَالِدَة أَوْلَادِهِ الْأَطْهَرِينَ، وَضَرِيحُهُ هُنَاكَ ظَاهِرٌ يُزَارُ الْآنَ ۞ تَلُوحُ عَلَيْهِ الْأَنْوَارُ، فَاقْصِدْهُ إِنْ أَرَدْتَ نَيْل مَرَامِكَ، وَأَسْأَل بِهِ مِنَ اللَّهِ الْأَمَانَ ۞ وَقَدْ رَثَاهُ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ بِقَصَائِدَ كَثِيرَةٍ، مِنْ جُمْلَتِهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ قَصِيدَةٍ، وَهِيَ هَذِهِ:

وَقَفْتُ وَمَا أَدْرِي الْمُعَزِّي مِنَ الْوَرَى ... أَنَفْسُكَ أَمْ نَفْسِي أَمِ الْأَنْفُس الْكُثْرُ
أَمِ الدِّين وَالدُّنْيَا أَمِ الْفَضْل وَالْعُلَا ... أَمِ الشَّرَفُ السَّامِيّ أَمِ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ
أَمِ الْحَرَمِ الْمَكِّيّ وَالرُّكْن وَالصَّفَا ... أَمِ الْحَجَرِ الْمَسْعُودِ وَالْبَيْت وَالْحِجْرُ
أَمِ الْمُصْطَفَى وَالْآل مِنْ نَسْلِ حَيْدَر ... فَكُلٌّ أُعَزِّيهِ وَكُلٌّ لَهُ آصِرُ
مِنَ السَّيِّدِ الْمَحْجُوب عَنْ زُخْرُفِ ... الدُّنَا وَمَنْ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ يَحْجُبُهُ سَتْرُ
فَقَدْ كَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ لِلرُّشْدِ مَصْدَرًا ... وَبَحْرًا مِنَ الْأَسْرَارِ لَيْسَ لَهُ جُزُرُ
بِدَعْوَتِهِ تَنْجَابُ كُلّ مُلِمَّةٍ ... وَيُمْحَى عَنِ الْجَانِي بِدَعْوَتِهِ الْوِزْرُ
لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ الرَّزَايَا عَظِيمَةً ... وَلَكِنْ رُزْءُ الْيَوْمِ أَعْظَمُ مَا يَعْرُوا
لَقَدْ هَدَّ أَرْكَانَ الْعَوَالِمِ هَوْلُهُ ... وَبَاتَتْ لَهُ تَهْوَى بِأَفْلَاكِهَا الزُّهُرُ

وَأَظلَمَ وَجهُ الأَرضِ وَأَربَدَ عابِسًا وَحارَت لَهُ الأَفهامُ وَانقَطَعَ الظَّهرُ

وَضَلَّت لَهُ الأَحلامُ وَانحَلَّتِ السُّرى وَقَد زاغَتِ الأَبصارُ وَاستَحكَمَ الذُّعرُ

فَمِن زاهِلٍ يَمشي وَلا عَقلَ لَهُ عِندَهُ وَمَن كانَ صَبّارًا فَقَد خانَهُ الصَّبرُ

كَأَنَّ مَسيرَ النَّعشِ وَالنّاسُ حَولَهُ يُمَثِّلُ يَومَ الحَشرِ أَو كَأَنَّهُ الحَشرُ

يُخَيَّلُ لي أَنّي أَرى الشَّمسَ كُوِّرَت وَقَد خَوَتِ الأَفلاكُ وَانكَشَفَ البَدرُ

إِنَّ جِبِلَّةَ الأَرضِ زالَت صِلابُها وَإِن رُؤوسَ القَومِ مِن فَوقِها الطَّيرُ

لَكَ اللَّهُ مِن يَومٍ أَضاقَ نُفوسَنا وَقَد ضاقَتِ الأَنحاءُ وَالبَرُّ وَالبَحرُ

فَما كانَ ذاكَ اليَومِ إِلّا قِيامَةً وَلا ضَمَّ ذاكَ اليَومُ غانِيَةً خِدرُ

كَأَنَّ لِسانَ الحالِ في النّاسِ قائِلٌ كَذا فَليَجِلَّ الخَطبُ وَليَفدَحِ الأَمرُ

أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَريحِهِ الأَنوَرِ سِرّ الكَمالِ وَرِضوانِهِ الأَكبَر

الْخَاتِمَةُ

فِي التَّعَرُّضِ لِعَظِيمِ النَّفَحَاتِ بِالدَّعَوَاتِ الْمَرْجُوَّةِ بِالْإِجَابَةِ فَلْنَرْفَعِ أَكُفَّ الرَّجَاءِ، مُتَوَسِّلِينَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ۞ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ وَذُرِّيَّتِهِ الْمُطَهَّرِينَ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَسَفِينَةِ النَّجَاةِ لِمَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ وَلَدِ عَدْنَانَ ۞ اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ حَمْدَكَ بِكَ لَكَ، وَنُسَلِّمُ عَلَى حَبِيبِكَ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تُقَدِّسَ رُوحَ هَذَا الْأُسْتَاذِ بِكَمَالَاتِكَ الذَّاتِيَّةِ ۞ فِي مَظَاهِرِ الْحَقِيقَةِ وَأَنْزِلْ عَلَى ضَرِيحِهِ سَحَائِبَ رَحْمَتِكَ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ عِنَايَتِكَ وَتَأْيِيدِكَ لِهَذِهِ الْبَضْعَةِ الْمِيرْغَنِيَّةِ ۞ وَارْزُقْنَا مَحَبَّتَهُمْ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَافْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ يَا قَدِيمَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ ۞ اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ الْإِيمَانِ وَرَقِّنَا إِلَى دَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ ۞ وَالْطُفْ بِنَا فِيمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، وَأَعْطِنَا مِنْ خَيْرِكَ بِخَيْرِكَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ. وَاصْرِفْ عَنَّا السُّوءَ وَالْبَلَاءَ وَالْفِتَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، يَا ذَا الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الْوَهْبِيَّةِ ۞ هَبْنَا لَهُمْ وَشَفِّعْهُمْ فِينَا، وَاغْفِرْ لِحَاضِرِنَا وَغَائِبِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ

وَالرِّضْوَان ۞ وَنَسأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تَحُفَّهُ بِعَيْنِ عِنَايَتِكَ الْكُبْرَى وَتَأْيِيدِكَ الْأَعْظَم، لِمَنْ كَانَ السَّبَبُ فِي نَشْرِ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ الظَّاهِرَةِ الْجَلِيَّة ۞ وَأَعْطِهِ اللَّهُمَّ سُؤْلَهُ، وَبَلِّغهُ مَأْمُولَهُ، وَاغْفِرْ لِمُؤَلِّفِهَا وَكَاتِبِهَا وَقَارِئِهَا وَسَامِعِهَا، وَاخْتِمْ لَنَا بِكَامِلِ الْإِيمَان ۞ وَعُمَّ جَمْعَنَا هَذَا بِصَيِّبِ وَابِلِ الرَّحْمَةِ، مَا نُشِرَتْ فِي الْعَالَمِينَ نَفَحَاتُ فَضَائِلِهِمْ، وَتَعَطَّرَ الْكَوْنُ بِمِسْكِ أَطْيَابِهِمُ الْعَنْبَرِيَّة ۞ وَمَا انْشَرَحَتِ الصُّدُورُ لِذِكْرِ مَنَاقِبِهِمْ وَأَنْعُمِهِمُ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْأَكْوَان ۞ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّة ۞ بِانْدِرَاجِهِمْ مَعَهُ فِي مَقَامِ الْوَسِيلَةِ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ جَنَّةِ الشُّهُودِ وَالْعِيَان ۞ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تَنْزِيهًا وَتَقْدِيسًا لِجَلَالِ عَظَمَةِ الْأُلُوهِيَّة ۞ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ الِاصْطِفَائِيَّة ۞ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مَا سَبَّحَ الْكَوْنُ، وَقَامَ بِتَجَلِّي اسْمِهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، بِسِرِّ مَحَامِدِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ عَلَى جَزَائِلِ النِّعَمِ وَالِامْتِنَان ۞ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ضَرِيحِهِ الْأَنْوَرِ سِرَّ الْكَمَالِ وَرِضْوَانِهِ الْأَكْبَر